الخاتمة

في ليلة ٩ نوفمبر ١٩٥٣م[١] انتقل ابن سعود إلى رحمة مولاه، أثناء نومه، إثر نوبة قلبية، وأخذ جثمانه إلى الرياض حيث ووري الثرى في هدوء ودون ضجة.

اعتلى الملك سعود العرش بعد والده، دونما مشاكل- وقد ظلت كلمة ابن سعود وسلطته نافذة ومقدرة حتى بعد موته- فقد أوصى قبل عشرين عاماً بأن يكون الأمير سعود هو خلفه على العرش، وها هم جميعاً -أبناؤه والمشايخ- ينفذون وصيته، كان عمر الملك سعود يوم أن تسلم الملك أكثر من خمسين عاماً بقليل- عاشها كلها في ظل والده العظيم، وعظمة ابن سعود ليست مرتبطةً بزمان معين، أو مكان معين، فهو عظيم أينما عاش، وحيثما عاش، ولم يكن لأحد من أبنائه من بعده أن يتطلع إلى مثل تلك العظمة - كان الملك سعود طويل القامة، ولكن طوله ليس كطول قامة والده، كان أيضاً جذاباً وقوياً، ولكن ليس كجاذبية وقوة والده، شخصيته مختلفةً عن شخصية والده، ولكنه كان كريماً ككرم والده، هداياه دائماً غالية وفاخرة، وكثيراً ما كان يهدي ساعة من ذهب، رسمت عليها صورته حتى لأبسط الفنيين، أو الأشخاص الذين يؤدون إليه أي عمل بسيط، ولعل هذا الإكثار في الصرف هو الذي جعل ديونه تصل خلال سني حكمه الأولى إلى ثلاثمائة مليون دولار.

---

(١) الموافق ٢ ربيع الأول ١٣٧٣هـ .

الأمير فيصل- الابن الثاني لابن سعود- أصبح ولياً للعرش، وكان مختلفاً في مظهره، وشخصيته عن الملك سعود، فهو رجل ذكي، ذو عقل متوثب للمعرفة، نظرته للأمور نظرة شاملة تتسم بأنها مواكبة للأحداث وملمة بها، له عزة نفس وكرامة ورثهما عن والده، وهو رجل بسيط في حياته ، لايحب المظاهر والأبهة، له ثمانية من الأبناء، اعتنى بتعليمهم جميعاً، حيث أرسل خمسة منهم إلى مدارس وجامعات أمريكية، وواحداً إلى أكسفورد، وآخر إلى الكلية الملكية العسكرية في ساندهرست بإنجلترا ولم يكن للأمير فيصل تطلعات للملك، أو السلطة، وإنما خدم أخاه كولي للعرش بكل تجرد وإخلاص.

عاش فيلبي فترةً أطول من ابن سعود، وبقي على عهد الملك سعود حقبةً من الزمن خارج البلاد، ربما بأمر الملك، وذلك بسبب نقده المستمر لبعض ما كان يجري في المملكة، وقد عاد إلى المملكة، ولكنه بقي نفس الشخصية القديمة نفسها، الصريحة، والناقدة لبعض سياسات الحكم.

شهدت سنوات ابن سعود الأخيرة قيام مجلس للوزراء، كانت سلطاته استشارية. وفي عام ١٩٥٤م عين الأمير فيصل رئيساً لذلك المجلس، وفي ١٩٥٨م منح المجلس سلطات تنفيذية، وأضيفت إليه بعض الوزارات الجديدة، وهي ستة في مجموعها: التجارة، والمواصلات، والداخلية والزراعة، والمعارف، والصحة، هذا فضلاً عن وزاراته الثلاث الأولى. وهي: وزارة الخارجية، والمالية، والدفاع. وكان الأمير فيصل إلى جانب رئاسته لمجلس الوزراء، هو وزير الخارجية أيضاً، وقد حل في فترة لاحقة محل ابن سليمان وزيراً للمالية. وتحت إشراف هذا المجلس بدأت أجهزة وإدارات الخدمة المدنية في الظهور والنمو، كما أنشئ جهاز للنظر في المظالم للقيام على رعاية شؤون المواطنين، والنظر في مظالمهم وشكواهم، وأصبح للدولة ميزانيتها السنوية الموزعة على

كافة الوزارات، وعلى البنيات التحتية، والخدمية، كالصحة، والمستشفيات، والمدارس والطرق، والري، وإنشاء خطوط جوية قوية - الخطوط السعودية.

علاقات بريطانيا التاريخية الطويلة مع المملكة وصلت إلى نهاية غير متوقعة، يوم أن قطعت المملكة علاقاتها الدبلوماسية مع كلٍ من بريطانيا وفرنسا، إثر غزوهما المشترك (مع إسرائيل) إلى قناة السويس في عام ١٩٥٦م، وكان ذلك تضامناً مع مصر، وقد استمرت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بين البلدين حتى عام ١٩٦٣م وذلك بسبب تطورات الأزمة الحدودية المعروفة بمشكلة «البريمي».

وأزمة الحدود هذه خاصة بالحدود بين المملكة العربية السعودية، وسلطنة عمان في الجنوب الشرقي، ومشيخة أبو ظبي على ساحل الخليج العربي، وقد ادعت كل من عمان وأبو ظبي أن المملكة العربية السعودية تعدت على حدودهما وأراضيهما، وطلبتا من بريطانيا التدخل لحمايتهما بموجب اتفاقاتهما القديمة مع تلك الدولة، وكانت المملكة ترى أن تلك الأراضي المتنازع عليها هي حقها التاريخي، بما فيها مجموعة من الواحات عرفت بواحات «البريمي» ومن ثم اشتهر هذا النزاع باسم مشكلة «البريمي».

كان لابد من تحديد وترسيم الحدود في تلك الجهات بصفة واضحة وظاهرة، وذلك بسبب تدفق البترول فيها، وبسبب اتفاقيات التنقيب عن البترول الممنوحة لشركات البترول في كل من السعودية، وعمان، وأبو ظبي، والتي كانت تستدعي أيضاً ترسيم الحدود بوضوح ودقة، ولم تكن هناك اتفاقيات ماضية توضح الحدود الفاصلة بين هذه البلاد، اللهم إلا الاتفاقية الممضاة بين بريطانيا- والدولة العثمانية في عام ١٩١٤م، والتي رفضت المملكة الاعتراف بها، أولاً: لأنها لم تخطر بتلك الاتفاقية من قبل (كانت شبه سرية)،

وثانياً: لأن الحرب العالمية الأولى ألغتها تماماً، ولم يكن أمام بريطانيا في عام ١٩٥٥م إلا التدخل في موضوع النزاع الحدودي هذا ممثلة لكل من عمان وأبوظبي بحكم الاتفاقيات السابقة بينها وبينهما، وربما كانت الحكومة البريطانية مدفوعة أيضاً بضغوط شركات النفط البريطانية العاملة في المنطقة عليها، وسواء كان هذا أو ذاك، فقد قررت بريطانيا عرض مشكلة البريمي على التحكيم الدولي، وبعد مداولات ومفاوضات تبدأ ثم تتعثر ، ثم تنتهي إلى لاشيء، لتبدأ من جديد، وبعد جهد ولأي شديدين تمت تسوية المشكلة لغير صالح المملكة وأعيدت العلاقات بين المملكة وبريطانيا في عام ١٩٦٣م، بل إن الملك فيصل عهد إلى ضابط بريطاني بتدريب القوات البدوية في الجيش السعودي - (الحرس الوطني).

والمملكة تشهد الآن تغييرات جمة في كل مناحي الحياة فيها، في المجالات الإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، فالعاصمة الرياض قد تغيرت كثيراً عما كانت عليه بالأمس، فهي تشهد حركة عمرانية واسعة حتى لم يبق من المدينة القديمة إلا بعض آثار هنا وهناك - فقلعة الرياض القديمة ما زالت باقية- وما زالت بعض معالمها الأولى باقية أيضاً مثل بوابتها القديمة، وآثار بقعة من الدم على بابها الجانبي يقال إنه دم عجلان حاكم الرياض، الذي قتل يوم استرد ابن سعود الرياض في عام ١٩٠٢م. وماعدا ذلك فالرياض الجديدة قد تخطت بمبانيها الحديثة، وعماراتها السكنية، ومجمعاتها التجارية- أسوار المدينة القديمة، وانتشرت ممتدة في الصحراء المحيطة بها. وهذه التغيرات الكبيرة التي شهدتها الرياض لم تشهدها مدن وبلدات أخرى في داخل المملكة مثل بريدة والتي تتغير كثيراً عما كانت عليه في الماضي، ومثل «الدلم» والتي ما زالت أسوارها القديمة قائمة.. وما زالت هي البلدة نفسها التي استردها

ابن سعود في عام ١٩٠٤م. أما البدو فما زالوا يمارسون حياتهم التقليدية الأولى التي ألفوها منذ آلاف السنين، ولكن حركة التغيير، وحركة التحديث التي بدأت في المملكة مستمرة ولن تتوقف.

وما زال الملك سعود هو عاهل المملكة[١]، وقد تخطى الستين من عمره، وهو يعاني من اعتلال في صحته، وبعض المتاعب في عيونه وما زال الأمير فيصل هو ولي العهد[٢]، وهو أيضاً يعاني من بعض المشاكل الصحية. ولكنهما ومعاونيهما من الوزراء، ورجال الحكومة يضطلعون بمهام الحكم في المملكة العربية السعودية، التي تشهد ازدهاراً وتطوراً في جميع مناحي حياتها.

(١) لقد مات الملك سعود -رحمه الله تعالى- بأثينا في اليونان، وكان ذلك في ٦ ذو الحجة سنة ١٣٨٨هـ، الموافق ٢٢ فبراير ١٩٦٩م. ونقل إلى مكة وصلى عليه في الحرم يوم الإثنين ٧ ذي الحجة ١٣٨٨هـ، ثم نقل إلى الرياض ودفن بالقرب من والده جلالة الملك عبدالعزيز في مقبرة العود.

(٢) كان تأليف الكتاب في عهد الملك سعود، لذلك أشار إلى أن الأمير فيصل (الملك فيما بعد) كان ولياً للعهد، وتولى الملك فيصل الحكم في يوم الإثنين ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ، الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٦٤م، ومات -رحمه الله تعالى- شهيداً يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول ١٣٩٥هـ، الموافق ٢٥ مارس ١٩٧٥م. ثم خلفه الملك خالد -رحمه الله تعالى- الذي توفي في يوم الأحد ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ، الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢م، ثم تقلد سدة الحكم خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله ومتعنا بصحته.